كفر عَقَب

مقدّمة

في طريقك من القدس إلى رام الله شمالاً، وبعد المرور عن حاجز قلندية العسكريّ ومن ثمّ مخيّم قلندية للاجئين، تبدأ العماراتُ السكنيّة الشاهقة تداهم المشهدَ أمامك عن اليمين وعن اليسار؛ غاباتُ الأسمنت المكوّنة من عمارات ضخمة فيها شقق كثيرة تؤوي آلاف المقدسيين، وتصطفّ على جانبيّ الشارع بلا فراغات مناسبة بينها، أو بنية تحتيّة ملائمة، لتُشكّل ضاحيةً شديدة الاكتظاظ في القدس، هي "كفر عقب". ولسوء الأحوال المعيشية فيها وكثرة الاكتظاظ يسمّيها بعض المقدسيين ساخرين "كفر عجب"، أو "كفر عقاب"، في إشارة إلى "العقاب" المعيشي لمن يسكن فيها.

الموقع الجغرافيّ والمساحة

تقع كفر عقب على بعد 13 كم إلى الشمال من مدينة القدس، وتمتدُّ أراضيها الأصليّة على مساحة تُقدّر بـ5400 دونمٍ[1]،

تحدّها من الشمال قرية برقة وأراضي البيرة، ومن الجنوب الرام وقلندية، ومن الشّرق مخماس، ومن الغرب رافات.

التقسيم الإداريّ

احتُلّت كاملُ أراضي القرية عام النكسة، إلا أنّها مُقسّمةٌ اليوم إلى قسمين إداريين: أراضٍ تابعة لبلدية الاحتلال الإسرائيلية في القدس، وأراضٍ مصنّفة "مناطق ج" من الضفة الغربية وفقاً لاتفاقية أوسلو. هنا بعض التفصيل:

1- الأراضي الواقعة ضمن الحدود الإداريّة لبلدية الاحتلال في القدس، أي ضمن نفوذها البلديّ وتحت مسؤوليتها لتوفير الخدمات الأساسيّة. وهي منطقة مكتظّة بالسكّان، وترتفع فيها العمارات المتلاصقة بلا توقف. يلجأ المقدسيون إلى كفر عقب لانخفاض تكاليف استئجار الشقق فيها - مقارنةً بمركز القدس- ، فمن يرغب بالحفاظ على بطاقة الإقامة الإسرائيلية (الهوية الزرقاء) التي يحملها، ولا يملك من أمره دفع مبالغ طائلة مقابل استئجار أو شراء شقة في بقية ضواحي وأحياء القدس، تكون كفر عقب وجهته المتاحة، وشبه الوحيدة. تُقدّر مساحة هذه الأراضي بـ1459 دونماً، وتشكّل ما نسبته 27% من مجمل مساحة أراضي القرية الأصلية.

2- الأراضي الواقعة ضمن الحدود الإداريّة لبلدية كفر عقب، التابعة لوزارة الحكم المحليّ الفلسطينيّة ضمن محافظة القدس الفلسطينية. تُصنّف هذه الأراضي كمناطق "ج" حسب اتفاقية أوسلو عام 1993. وتُقدر مساحتها بـ4015 دونماً، أي ما نسبته 73% من مساحة القرية الأصلية.

وفي الوقت الحالي تقع كفر عقب على الطريق الرئيسي بين رام الله والقدس، ممّا يجعلها منطقةً حيويّةً واستراتيجيّة تشكّل المحور الحضريّ الفلسطينيّ الذي يربطُ القدسَ برام الله.

---

[1] الدباغ، مصطفى مراد، "بلادنا فلسطين"، موقع "فلسطين في الذاكرة"،
كفر عقب قضاء القدس - Kafr 'Aqab (כפר עקב) - فلسطين في الذاكرة

التسمية وتاريخ القرية

يُرجّح أنّ تاريخ قرية كفر عقب يعود إلى الفترة الصليبيّة.[2] وتكتنف مصدر اسم "كفر عقب" عدّة تأويلات، يتماسّ كلٌّ منها مع مرحلة تاريخيّة عاشتها القرية، من ضمن التأويلات، يُرجع الباحث ناصر الدين أبو خضير كلمة "كَفْر" من المشترك السامي، يقول: "هي في الأكادية كابرو kapru وفي السريانية: كفرا، أما في اللغة العربية فـ"كَفْر" مشتقة من "كَفَرتُ الشيءَ أكْفِره كَفْرا: أي أستره وأغطّيه. ويصف الاسم "كَفر عقَب" طبوغرافيا المكان، إذ يدل على الطريق الصخْري الصاعد في أعلى الجبل"[3].

والتأويل الثاني، أن رجلاً اسمه "كفير" مرّ بقافلته على القرية في العهد العثمانيّ، و"عَقِب" أي مكث فيها.[4]

التّركيبة السّكانية

تُعتبر قرية كفر عقب تاريخياً قرية صغيرة نسبياً مقارنة بالقرى المقدسية الأخرى، إذ كان عددُ البيوت المأهولة فيها 59 بيتاً عام 1931. في أربعينيات القرن الماضي مثلاً، كان عدد سكانها ما يقارب 300 شخص فقط، بينما ارتفع عام 1961 إلى 410[5] شخص. لكن هذا العدد القليل من السكان لم يعد قائماً اليوم إلا في الجهة الشرقية من القرية التي ما زالت تحتفظ ببعض الملامح الريفيّة.

تُقدِّر مختلف الجهات الإسرائيليّة والفلسطينيّة عددَ السُّكان بأرقامٍ متباينة. حسب أهالي قرية كفر عقب، يُقدّر عدد من يسكن في التجمع التابع لبلدية كفر عقب الفلسطينيّة بحوالي ألف شخص[6]، بينما يُقدّر عددُ الفلسطينيين في كل منطقة كفر عقب على اختلاف تصنيفاتها، منطقة (ج) أو منطقة بلدية، بحوالي 50 ألف فلسطيني[7].

---

[2] المصدر السابق.

[3] "أسماء قرى القدس دراسة لغوية دلالية، ناصر الدين أبو خضير، نشر في مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب. نشر كذلك في موقع باب الواد بتاريخ 06.12.2016

أسماء قرى القدس، دراسة لغوية دلالية

[4] "دليل قرية كفرعقب"، معهد الأبحاث التطبيقية - القدس/ أريج، إصدار 2012،

تفر عقب قرية دليل

[5] الدباغ، مصطفى مراد، "بلادنا فلسطين"، موقع "فلسطين في الذاكرة"،

Kafr 'Aqab - كفر عقب -القدس- فلسطين في الذاكرة

[6] بناء على مقابلة مع السيد أشرف الرموني، مدير العلاقات العامة في بلدية كفر عقب، بتاريخ 6 أيار 2018.

[7] المصدر السابق.

تُقدِّم مؤسساتُ الاحتلال تقديراتٍ أعلى، إذ بلغ تقدير عدد سكان كفر عقب (منطقة بلدية الاحتلال) عام 2016، 60 ألف فلسطيني[8]، مما يعني أنهم اليوم قد وصلوا إلى أكثر من ذلك. وفي حقيقة الأمر لا يمكن الحصول على رقم نهائيّ حول عدد السكان سواءً في القدس عامةً، أو في كفر عقب خاصة، لتخوّف المقدسيين عموماً من عمليات الإحصاء وما قد يترتب عليها من تهجير وسحب لبطاقات هوياتهم. وتنتشر تقديرات عشوائية بين الناس بأنّ عدد المقدسيين في حي كفر عقب (نطاق بلدية الاحتلال) يتراوح بين الـ80 ألف إلى 100 ألف فلسطيني.

تتوزّع عائلات كفر عقب الأصليّة على الحمائل التالية:

حمولة بركات وهي الأكثر عدداً، وتتفرّع منها عائلات مثل: محمّد وأحمد وحمد وخيرالله، وحمولة أبو شريف.

بالإضافة إلى حموليّ نصّار، وحبّاس[9]، وتتفرّع هذه الحمائل إلى عائلات أصغر.

الحياة الاجتماعية والاقتصادية

ضمّت كفر عقب قديماً عدداً من آبار الماء التي مثّلت أحد مكوّنات الحياة الاجتماعية للقرية، إذ كانت تجتمع عندها النساء لجلب الماء للبيوت. وغالباً ما ارتبطت تسمية الآبار بأسماء العائلات (الحمائل) التي حفرتها. وكانت في كفر عقب بئر رئيسية (بئر البلد التحتاني)، كانت نبعًا بالأساس وحوّله الأهالي لبئر عمقها من 15 إلى 20 متراً تستخدمها كل عائلات القرية. كان الناس يعيشون في الجهة الشرقيّة من القرية حيث تقع البلدة القديمة. أما الأراضي الزراعيّة في الجهة الغربيّة من القرية (التي تحوّلت اليوم إلى ضاحية سكانيّة مكتظة) فقد كانت بمثابة متنزّه لسكّان كفر عقب الأصليين. تذكر إحدى سيدات القرية أنه كانت ثمّة إطلالة للقدس، وكان الأهالي يراقبون المسافرين والطائرات من مطار القدس (مطار قلندية)[10].

في حياتهم الاقتصاديّة الاجتماعية، كان لكل عائلة في كفر عقب بيدر -لزراعة القمح تحديداً، وعندما بدأ عدد سكّان القرية بالازدياد والتوسّع بالبناء، بنوا بيوتهم على هذه الأراضي.

---

[8] تقرير "القدس الشرقية: حقائق ومعطيات 2017"، صادر عن جمعية حقوق المواطن الإسرائيلية، القدس الشرقية: حقائق ومعطيات 2017 | جمعية حقوق المواطن - أرشيف

[9] المصدر السابق.

[10] حسب مقابلة مع كريمة منور بركات، إحدى المسنّات من قرية كفر عقب، أُجريت المقابلة بتاريخ 8.10.2019.

اعتاد الفلاحون في فلسطين عموماً تخصيص عامٍ لزراعة القمح، والعام الذي يليه للشعير، والذي يليه للخضار التي كانت عالية الجودة، وتنوّعت زراعتها في كفر عقب بين الخيار والباذنجان والبندورة (الطماطم)، وكانت مزروعات القرية توفّي حاجة أهلها وما زاد منها كان يُجفَف ويُخزّن، خاصّة الطماطم.[11]

وفقاً للرواية الشفوية لأهالي القرية، كان الناس يجتمعون في "البيدر" بالقرب من البلدة القديمة، ليجمعوا القمح والشعير من أراضيهم، ثم يتّجهون إلى البيرة حيث الطاحونة لاستخلاص الطحين قبل خبزه بالطابون، وكان الطابون مشتركاً بين نساء القرية إذ يقاسِمْنَ وقتهنّ للخَبز.[12]

بالإضافة إلى الزراعة، اعتمد بعض أهالي القرية في معيشتهم على قصّ الحجر من المحاجر، وذلك في القرى المجاورة مثل قرية رافات.

التّعليم

على صعيد التعليم، تأسّست أول مدرسة في كفر عقب بعد عام النكبة 1948، وضمّت سنة 1966، 87 طالباً يعلّمهم معلّمان.[13] وبُنيت المدرسة بجمع أموال من أهالي القرية. وبعد الانتهاء من التعليم الأساسي كان الطلبة يكملون تعليمهم في مدرسة البيرة.[14]

اليوم (حتى عام 2019)، يوجد في كفر عقب 21 مدرسة تشمل مراحل التعليم الأساسية والإعدادية والثانوية، وتتوزّع بين مدرستين تابعتين لوزارة التربية والتعليم الفلسطينية، ومدرسة واحدة خاصّة، و17 مدرسة تتبع لبلديّة الاحتلال في القدس، وتندرج تحت نمطين: المدارس الرسمية، وهي المدارس "الحكوميّة" التي تديرها البلديّة مباشرةً؛ والمدارس غير الرسمية المُعترف بها، وهي مملوكة للقطاع الخاص لكن تعترف

---

[11] المصدر السابق.

[12] المصدر السابق.

[13] مصطفى مراد الدباغ، "بلادنا فلسطين"، موقع "فلسطين في الذاكرة"،
Kafr 'Aqab - كفر عقب -القدس- فلسطين في الذاكرة

[14] حسب مقابلة مع كريمة منور بركات (85 عاماً)، قرية كفر عقب، أُجريت المقابلة بتاريخ 8.10.2019.

بها وزارة التعليم الإسرائيلية وتسمح لمالكيها بفرض رسوم وأقساط سنوية، كما تشرف البلدية، جزئياً، على نشاطاتها وتقدّم لها دعماً مالياً[15].

المعالم

نذكر هنا أهمّ معالم كفر عقب، ما ارتبط منها بالتراث الشعبيّ وبالتاريخ القريب.

نبدأ بجذر القرية وأبرز معالمها، **البلدة القديمة[16]:** أو كما يسمّيه بعض كبار السن من أهلها "الخرابات"[17]، حيث تأسّست القرية بدايةً، وتوجد فيها البيوت القديمة، إذ كان لكل عائلة حوش ومنطقة سكن محدّدة، وفيها "جامع كفر عقب" القديم. وما زالت آثار البلد والبيوت موجودة إلا أنّها لم تعد (في غالبها) مسكونة اليوم.

[15] "تفعيل دور التعبئة المجتمعية من أجل تحسين الظروف المعيشية في الأحياء الفقيرة في القدس، تقييم الاحتياجات الأساسية: كفرعقب"، إصدار: برنامج الأمم المتحدة للمستوطنات البشرية UN-Habitat والملتقى الفكري العربي، 2016.

[16] أنهى مركز رواق- مركز المعمار الشعبي عام 2019 أعمال المرحلة الثانية من تأهيل وإعادة إحياء البلدة القديمة في كفر عقب، حيث تم ترميم حارات من البلدة القديمة ترميماً وقائياً كما تم ترميم مبنى ليخدم كمركز نشاطات للبلدية.

[17] تسمية "الخرابات" جاءت من السيدة كريمة منور بركات (85 عاماً) من قرية كفر عقب، أُجريت معها مقابلة بتاريخ 8.10.2019.

توجد في كفر عقب خربتان معروفتان، هما:

خربة عطارة: تقع في الجهة الغربيّة ما بين قلندية وكفر عقب. ويزعم الصهاينة أنّ لها تاريخاً توراتيّاً. ويذكر مصطفى مراد الدبّاغ أنه في العهد الروماني كانت هناك قريتان متجاورتان تحملان اسم "عطارة"، إحداهما كانت محل خربة عطارة والثانية محل قرية رافات. كما توجد في الخربة معصرة منقوشة بالصخر لها أرضيّة مرصوفة بالفسيفساء،[18] وكانت فيها عين ماء. لم يكن سكّان الخربة من العائلات الأصليّة لكفر عقب، ووفقاً للرواية الشفويّة عُرف من سكّان الخربة طبيب يُدعى سليم كان يلجأ إليه سكّان القرية للعلاج[19].

وخربة أخرى أقل شهرةً من خربة عطارة تُدعى **خربة كفر طاس:** ذكرها الدبّاغ، وتقع في الجنوب من كفر عقب[20].

ويوجد في القرية عدّة مساجد، أبرزها:

مسجد أبو بكر الصدّيق، بناه أحد أبناء القرية من عائلة عوض في الجهة الشرقيّة من القرية، رُمّم مؤخراً وأُضيف له مصلّى للنساء.

مسجد كفر عقب، وهو المسجد الأقدم في القرية وموقعه في البلدة القديمة، وكان شيخاً من أبناء القرية اسمه دعيس أبو شريف يؤذّن فيه ويؤمّ في الناس[21]، رُمّم المسجد مؤخراً إلا أنّ الصلاة لا تُقام فيه اليوم.

---

[18] الدباغ، مصطفى مراد، "بلادنا فلسطين"، موقع "فلسطين في الذاكرة"،
Kafr 'Aqab - كفر عقب -القدس- فلسطين في الذاكرة

[19] حسب مقابلة مع كريمة منور بركات (85 عاماً)، من قرية كفر عقب، أُجريت المقابلة بتاريخ 8.10.2019.

[20] الدباغ، مصطفى مراد، "بلادنا فلسطين"، موقع "فلسطين في الذاكرة"،
Kafr 'Aqab - كفر عقب -القدس- فلسطين في الذاكرة

[21] أنهى مركز رواق- مركز المعمار الشعبي عام 2019 أعمال المرحلة الثانية من تأهيل وإعادة إحياء البلدة القديمة في كفر عقب- ومن ضمنها مسجد كفر عقب القديم-، حيث تم ترميم حارات من البلدة القديمة ترميماً وقائياً كما تم ترميم مبنى ليخدم كمركز نشاطات للبلدية.

أما بالنسبة للمغر في القرية، فحسب الباحث توفيق كنعان، يوجد صنفان من المغر ذات القداسة عند الناس، هما: مغر مع أضرحة، ومغر بدونها. في كفر عقب يوجد الصنف الثاني، أي المغارة غير الملحقة بضريح، وتكون محل إقامة القدّيس.[22]

وهي المغارة القريبة من الشجرة المعروفة **بـبلّوطة الشيخ عبد الله**، وهي شجرة بلّوط توجد على طرف القرية من الجهة الشرقية، تعدّ بمثابة شجرة الولي المشهورة بالقرية، واتّباعاً لعادةٍ شعبية فلسطينية، كان الناس -النساء تحديداً- يُشعلن الأسرجة عند المغارة قرب الشجرة لتحقيق أمنياتهنّ. رُدمت المغارة لكنّ الشجرة ما زالت موجودة حتّى اليوم.

التاريخ النضالي

لم يُذكر في أدبيّات النكبة الكثير عن قرية كفر عقب، إلّا أن قربها من مستعمرة عطروت وضعها قرب خط القتال وجعلها تخوض مواجهة غير مباشرة خلال إقامة كيان الاحتلال في معارك عام 1948.

ممّا ذُكر، أن في نكبة عام 1948، زرع الصهاينة ألغاماً بين مستعمرة عطروت وقريتيّ قلندية وكفر عقب، استعداداً للمواجهة التي بات الجميع في انتظارها حينئذ، وأعدّ لها هؤلاء بعناية، دفاعاً وهجوماً. فحصّنوا تحصيناتهم وعملوا على تعزيز مخزونهم السرّي من الأسلحة والذخائر في "عطروت"، ووضعت قيادة "الهاجاناه" رؤيتها للمواجهة المرتقبة في القدس: عدم إخلاء أيّ مستعمرة أو حيٍّ يهوديٍّ في المدينة، أي الاستمساك بالدفاع حتى الرمق الأخير، وتطوير الدفاع بتنفيذ عملياتٍ هجوميّةٍ يقطع بعضها طريق المواصلات العربيّة، لردعٍ العرب عن مهاجمة المواصلات الصهيونية الحيويّة، خاصةً التي تقلّ سكان مستعمرة عطروت المعزولة[23].

كفر عقب في النكسة

تعرّضت القرية للقصف واحتلّت بكامل أراضيها في نكسة عام 1967، ولجأ سكّانها، كما تشير الرواية الشفوية، إلى منطقة تسمّى بـ"شقفان أبو سعيدة" قرب البيرة في الخلاء (مكانها الآن مستعمرة بساغوت)، مكثوا فيها عدّة أيام ثم عادوا إلى بيوتهم في القرية. وفي العام ذاته، وفي إطار نشأة الكيان

[22] " Mohammedan saints and sanctuaries in Palestine, Taufik Canaan, London, 1927, p:48.

[23] "مستوطنة "عطروت": 100 عامٍ من الصراع من "بنكل" إلى "رامي ليفي""، خالد عودة الله، نشر المقال بتاريخ 15.4.2019،
"مستوطنة "عطروت": 100 عامٍ من الصراع من "بنكل" إلى "رامي ليفي"

الجديد ونزعِهِ لوسائلِ المقاومة، اقتحم الصهاينة القرية وفتّشوا جميع بيوتها واعتقلوا كلّ من وُجد لديه سلاح.[24]

يُنسب إلى كفر عقب الشّهيد محمد علي سعود جميل من حمولة حبّاس، وهو ضابطٌ في الجيش الأردني، استشهد عام 1967 وهو يضرب العدو من وراء مدفعه[25]. كان في العشرينات من عمره ولم يعرف أهل القرية مكانه وبعد البحث عنه وجدوا جثمانه. وروت السيدة كريمة منور بركات من القرية أن شقيقها أنور منور بركات كان ضابطاً بالجيش الأردني كذلك، وكان رفيقَ الشّهيد محمد علي جميل.[26]

أمّا بالنسبة للانتفاضة الأولى عام 1987، فمن ضمن الحوادث التي شَهِدَتها القرية آنذاك: كان الأهالي قد أغلقوا محلّاتهم في إضرابٍ عامٍ شَمِلَ كفر عقب كلّها، فيما اندلعت مواجهات مع جيش الاحتلال. وبحسب الرواية الشفويّة، فإنّ حدة المواجهات دفعت بعض الصهاينة إلى الخروج من مستعمراتهم ومنشآتهم في المنطقة وإخلائها، ومنها "قبانية اليهود" الموجودة داخل مستعمرة "عطروت" قرب المطار. اندفع الأهالي بعدها نحو المناطق المُخلاة، وكان منهم شباب من القرية يعملون في كسّارة قُرب "القبانية"، التي كان الصهاينة قد أحاطوها بالألغام، مما سبب خسائر منها استشهاد شابّين هما علي عبد الله أبو شريف ومحمد نصار بركات. [27]

الاستيطان

مع احتلال الضفّة الغربية، أقامت سلطاتُ الاحتلال قاعدةً عسكريّةً شمال كفر عقب، ألحقتها بـ"تطوير" المطار، القائم من قبل النكبة، وتحويله إلى مطار عسكري عقب الاحتلال. وفي عام 1982 أقام الاحتلال قاعدة عسكرية أخرى جنوب القرية [28] فأصبحت محصورة بقاعدتين عسكريتين، شمالاً وجنوباً.

---

[24] حسب مقابلة مع كريمة منور بركات (85 عاماً)، من قرية كفر عقب، أُجريت المقابلة بتاريخ 8.10.2019.

[25] الدباغ، مصطفى مراد، "بلادنا فلسطين"، موقع "فلسطين في الذاكرة"،
Kafr 'Aqab - كفر عقب -القدس- فلسطين في الذاكرة

[26] حسب مقابلة مع كريمة منور بركات، إحدى المسنّات من قرية كفر عقب، أُجريت المقابلة بتاريخ 8.10.2019.

[27] المصدر السابق.

[28] "مخيّمات ما بعد أوسلو: كفر عقب نموذجاً"، رازي نابلسي، نُشر على موقع السفير العربي بتاريخ 29.12.2016، للاطّلاع:
https://bit.ly/2ROagKl

وبحلول عام 1984 أُقيمت مستعمرة "كوخاف يعكوف" جنوب القرية، وابتلعت المزيد من الأراضي الفلسطينية في "طوقها الأمني"، فلكل مستعمرة مساحة أمنيّة تفصلها عن القرية الفلسطينيّة القريبة منها، ومساحة أخرى تفصلها عن الطرقات الرئيسية، وقد يحدث أن يُطَوَقَ جبلٌ كاملٌ لحماية بعض منازل المستعمرين في قمّته، كمستعمرة "بساغوت" المقامة على أراضي مدينة البيرة مثلاً. وبخصوص "كوخاف يعكوف"، التي يسكنها الآن نحو 6 آلاف مستعمر صهيوني، فقد صادر الاحتلال لصالحها 2037 دونماً من الجهة الشرقيّة من كفر عقب في بداية الثمانينات[29]، بالإضافة إلى 42 دونماً لإقامة قاعدة عسكريّة لحمايتها[30].

وفق دراسة أجراها الباحثان جميل هلال وأباهر السقّا، بلغ إجماليّ ما صادرته سلطات الاحتلال من أراضي كفر عقب لإقامة مستعمرة "كوخاف يعكوف" فقط 30% من مساحة القرية البالغة 6665 دونماً[31].

في السياق ذاته، كشفت وزارةُ البناء والإسكان الإسرائيليّة عام 2007 عن مخططٍ استيطانيّ جديد شمال القدس، بالقرب من مطار قلندية ومن الجهة الجنوبية من كفر عقب، داخل حدود بلدية القدس. ويشمل المخطط الاستيطاني بناء 11 ألف وحدة استيطانية لاستيعاب المزيد من المستوطنين في القدس. وتهدف الوزارة الإسرائيلية إلى وصْل الحي الاستيطاني الجديد (والذي يُعتبر امتداداً لمستعمرة "عطروت" الصناعية القائمة اليوم)، مع مستعمرة "كوخاف يعكوف" على الجهة أخرى عبْر نفق تحت الأرض يُحفَر على حساب أراضي قرية كفر عقب، من جنوبها إلى شمالها الشرقي[32].

المظهر الآخر من مظاهر الاستيطان في كفر عقب هو جدار الضمّ والتوسّع، الممتد بطول 4 كم على أراضي القرية عازلاً إياها عن مركز القدس، فبعد أن كان الوصول من كفر عقب للقدس (أو العكس) يستغرق دقائق معدودة، أصبح لزاماً على سالك الطريق المرور بحاجز قلندية، كما بات الوقت المستغرَق للوصول

---

[29] "دليل قرية كفر عقب"، معهد الأبحاث التطبيقية - القدس / أريج، إصدار 2012،
تفر عقب قرية دليل

[30] المصدر السابق.

[31] قراءة في بعض التغيرات السوسيو حضرية في رام الله وكفر عقب"، جميل هلال وأباهر السقا، مركز دراسات التنمية جامعة بيرزيت، 2015، ص73.

[32] "دليل قرية كفر عقب"، معهد الأبحاث التطبيقية - القدس / أريج، إصدار 2012،
تفر عقب قرية دليل

معتمداً على وضع وكثافة الزحام قبل الحاجز، وداخله. وفضلاً عن عزلها عن القدس، بُني الحاجز على قطاع من أراضي القرية بعد مصادرة أرضه.

أنتج الاحتلال واقعاً فلسطينيّاً مُعقداً ومُقسّماً في كفر عقب. يرجعُ الاختلافُ المعيشيُّ بين الجزئين الشرقيّ والغربيّ للقرية، بالأساس، إلى اختلاف التقسيم الإداريّ والتبعية السياسية لكل جزء على حدة، وإلى الواقع الذي فرضه جدار الضمّ والتوسع وحاجز قلنديا العسكريّ الذين عزلا القرية بأكملها عن مركز مدينة القدس ومحيطه.

القرية اليوم

يمكن القول إنّ كفر عقب بشكلها الحالي تتّسم بسمتين لازمتا نشأتها وعمارتها منذ البداية. أولاً: كون البناء فيها لا يستلزم ترخيصاً من أي من الجهتين، لا بلدية الاحتلال ولا السلطة الفلسطينية، ثانياً: كونها تتبع -جزئياً- للقدس من الناحية الإدارية ، وذلك رغم وقوعها خلف جدار الضمّ والتوسّع، أي في اتّصال مباشر مع رام الله بما هي مركز حيوي للضفة الغربية ومقرّ لأعمال ووظائف ومصالح الناس.

انعكست السمة الأولى في عشوائية البناء هناك، وسيادة اللّاتخطيط الحضري الهندسي المصاحب للاكتظاظ السكاني والمعماري، فلا جهة تُلزِم أصحابَ المصالح والمنتفعين من تجّار العقار بأي هندسة، عملية أو جمالية، للحيّز. وأثمرت السمة الثانية لجوءَ العديد من الناس للاستئجار أو التملّك في كفر عقب لأسباب كالحصول على "الهوية المقدسية"، وتجنّب الارتفاع الهائل لأسعار العقار في القدس نفسها، وحيازة سكن منخفض الثمن وقريب من رام الله - مطلّ على حاجز قلنديا مباشرة. ومع ازدياد البناء وارتفاع عدد السكان، تدريجياً نشأت بيئة معيشية صعبة تشمل أبنية ملاصقة لبعضها البعض، ممّا يحرم الناس من الخصوصية، وسط شبه انعدام لوسائل الترفيه والحدائق، والبنية التحتية الملائمة للعدد المتزايد من السكان.

على أن الوضع سابق الذكر ليس أزلياً في كفر عقب، فقد ارتبط بعملية "توسّع" اقتصادي متعلق بحركة رؤوس الأموال في قطاع الأراضي، ممّا أنتج ما يمكن أن نطلق عليه "كفر عقب الجديدة"، التي قامت على

استثمارات "سريعة" استغلّت حيزاً ضيقاً من الأرض أحاط المكان القديم. وفق دراسة عن التغيرات السوسيو-حضرية في كفر عقب، تضمّنت مقابلات مع سكّانها، تحوّل حيّز القرية إلى منطقة جذب استثماري عقاري بامتياز، ومن ناحية معمارية فراغية تتّسم إقامة البنايات والعمارات بالفوضى الكاملة حيث تغيب القوانين الناظمة والمرتبطة بالتخطيط؛[33] يقول أحد قدامى السكان: "كنا نعيش سعيدين في المنطقة بلا اكتظاظ، وكان يمكن أن تستقل سيارة بكل هدوء وراحة، اليوم تحتاج لساعة ونصف لتجد سيارة للتنقل ، ولا يوجد انصياع للقوانين ولا حياة اجتماعية، ولا يعرف الجيران بعضهم ولا يسأل أحدهم عن الآخر، البلد قد تغيرت كثيراً، لم تعد كما كانت".[34]

وبالنسبة لسكن المقدسيّين تحديداً في كفر عقب، فبعد إطباق جدار الضمّ والتوسّع على القرية، عام 2009، تغاضت بلدية الاحتلال -كما ذكرنا سابقاً- عن البناء غير المرخّص هناك، مما سمح للمقدسيين بالتوسّع أكثر في البناء استغلالاً لغياب قيود الاحتلال في إصدار التراخيص، وباتت المنطقة الوحيدة التي يمكن للمقدسي البناء فيها بشكل سلس وسريع، وزاد من هذا التوسّع بحثُ المقدسيين عن حلول سكنية لا تفقدهم بطاقات الهوية الإسرائيلية وتكون بنفس الوقت منخفضة التكاليف.

وتنقسم الشرائح الرئيسية التي تسكن ضاحية كفر عقب اليوم، الواقعة ضمن حكم بلدية الاحتلال، إلى قسمين أساسيين: الأول: من لا يتيح وضعهم الاقتصادي استئجار مسكن في مركز القدس، قد تبلغ كلفته الشهرية إلى نحو ألف دولار، فيضطرّون للشراء في كفر عقب بسعرٍ أقل - نسبياً - من سعر المساكن المتاحة في المناطق التي لم يعزلها الجدار داخل القدس.

أما الثاني: العائلات التي يكون فيها أحد الأبوين، الأب أو الأم، من حملة بطاقة الهوية الفلسطينية، وقدّما طلباً لوزارة الداخلية الإسرائيلية للمّ شملهم في "القدس" وحصول من يحمل البطاقة الفلسطينية على تصريح إسرائيلي بدخول المدينة. فيحرص هؤلاء سُكنى منطقة تقع تحت حكم بلدية الاحتلال، باعتبار ذلك

[33] قراءة في بعض التغيرات السوسيو حضرية في رام الله وكفر عقب"، جميل هلال وأباهر السقا، مركز دراسات التنمية جامعة بيرزيت، 2015، ص73.

[34] قراءة في بعض التغيرات السوسيو حضرية في رام الله وكفر عقب"، جميل هلال وأباهر السقا، مركز دراسات التنمية جامعة بيرزيت، 2015، ص77.

شرطاً من شروط استكمال طلبهم للمّ الشمل. ولأن كفر عقب تُعد أبرز منطقة من هذا الصنف ولا يفصلها جدار أو حاجز عن أراضي الضفة الغربية، باتت الوجهة الأساسية وشبه الوحيدة لمثل تلك العائلات.

مع موقعها المتميّز القريب من رام الله، وما نتج عن واقع الاحتلال من حركة سكانية إليها وفيها وما يُظهره مشهد العمارات الشاهقة المتلاصقة من اكتظاظ سكاني كبير هناك، رافق التزايد السكاني في كفر عقب، بطبيعة الحال، نمو سوق اقتصادية توازيه وتخدمه، وتحوّل شارع القدس - رام الله إلى أحد الشوارع الأكثر حيوية ونشاطاً اقتصادياً بين المدينتين، وتكاثرت فيه المحلات التجارية المقدِّمة لمختلف الخدمات. وعن تزايد الأنشطة الاقتصادية الرسمية وغير الرسمية، يقول صاحب محل في كفر عقب، السيد أبو صالح: "الموضوع ببساطة أن الإيجارات في كفر عقب أقل من رام الله والربح على البضائع أعلى بكثير".

وعلى ذات الجانب الاقتصادي، تنتقل بعض الشرائح الاجتماعية لسكنى كفر عقب لأسباب اقتصادية أخرى. مثلاً، يلاحَظ أن كفر عقب تعجّ بمحلات تمارس التهرب الضريبي في تجارة السجائر، كما تنتشر في القرية المطاعم سواء التقليدية أو المعولَمة والمقدِّمة للوجبات السريعة.

وانعكاساً لعشوائية المكان، حضرياً وتخطيطياً، يحدث أن تجتمع أنشطة اقتصادية مختلفة متنافرة داخل حيّز مكاني واحد أو نرى نشاطاً تجارياً مرتجَلاً أو غير تقليدي المحل. على سبيل المثال، لا الحصر. نلحظ متجر أحذية السالم في نفس مكان محطة وقود ناصيف، و"فلافل أبو علي" القائم في حاوية حديدية في منتصف الشارع.[35]

خاتمة

أنتج واقع الاحتلال والتمزّق الإداري وتقطيع أوصال الضفة الغربية والقدس "كفر عقب الجديدة"، كنموذج خاص من المخيّمات ظهر بعد اتفاقيّة أوسلو[36]، كما ظهر المخيّم التقليدي بعد المحطّات الرئيسية لتاريخ القضية الفلسطينية. يضمّ الشكل الجديد نازحين من مناطق فلسطينية عديدة، لأسباب معيشية تشمل

[35] قراءة في بعض التغيرات السوسيو حضرية في رام الله وكفر عقب"، جميل هلال وأباهر السقا، مركز دراسات التنمية جامعة بيرزيت، 2015، ص80.

[36] أشار الكاتب رازي النابلسي إلى مصطلح "مخيمات ما بعد أوسلو" في مقالٍ نُشر على السفير العربي بعنوان "مخيّمات ما بعد أوسلو كفرعقب نموذجاً"، للاطّلاع: https://bit.ly/2ROaqKI

تضييق الاحتلال على الناس في مناطق أخرى وتقزّم الاقتصاد الفلسطيني ومحدوديّته المطلقة، ويغيّب عنه التجانس الطبيعي للتشكيلة الاجتماعية الفلسطينية، ويقوم على منطق "استثماري" محض يستولد الربح المالي من الحجر على حساب البشر القاطنين هناك في مكعّبات أسمنتية مكتظّة شاهقة الارتفاع، تم بناؤها عشوائيّاً وبغرض محض العيش دون أن تشكّل بنية مدنيّة صحيّة متكاملة للحياة.